ففي المجتمعات القديمة ـ وحسب الدراسات الإنثروبولجية ـ كانت المجتمعات الأمومية matriarchal هي الأقدم في الظهور. وتعد دراسة «حق الأم» للعالم باخوفن التي نشرت عام 1861م أول دراسة عنيت بإثبات أن البشرية عاشت المجتمع الأمومي قبل أن يحصل الانقلاب الذكوري. وفي هذه النظرية (حق الأم) تعدّ السلطة حقاً طبيعياً للمرأة، على اعتبار أن الأنثى هي الأصل. وعلى الرغم من أن المرأة من الناحية الفسيولوجية، إلا أنها كانت قد احتلت مكانة عالية في العائلة وفي المجتمع وفي السلطة، وبذلك انتصرت على قوة الرجل الفسيولوجية؛ فالمرأة تتماثل وفق نظريته مع الطبيعة والأرض، وكان قد ظهر الاحترام والتقدير وسيطرة المرأة على المجتمع مع بدايات اكتشاف الزراعة واستقرار الإنسان على الأرض وظهور الدين، لكن بعد انتشار الزراعة ونشوء المدن أخذت مكانة المرأة تفقد حقها الطبيعي بالتدريج؛ إذ فقدت سلطتها في المجتمع أولاً، هي مرحلة سلطة الأب البطريركية patriarchal. وفي الحضارات القديمة كالبابلية والفارسية والآشورية تشير الكثير من الكتابات التي تناولت تلك الفترة الزمنية إلى أن المرأة كانت عديمة الأهلية، فكان البابليون يقيمون كل عام سوقاً يذهب الفتيان إليه، ويشترون النساء بالمزايدة في ثمنها؛ ولم يكن للأنثى الآشورية ميراث من أبيها، بل كانت توزع تركته على الأبناء الذكور فقط. أما البنت في الحضارة الفارسية فلم تكن أفضل حظاً؛ فإذا وُلد للرجل طفل ذكر يقدم شكره لله بمراسيم دينية معينة، أما إذا وُلدت له بنت فلا يقدم مثل هذا القربان. ولقد انفردت الحضارة الفرعونية القديمة بإكرام المرأة، وتقوم بمزاولة الأعمال خارج بيتها، وهذا ما ظهر من رسومات عصر الحضارة الفرعونية؛ إذ صوروا المرأة في رسوماتهم تدير دفة السفينة، وكانت المرأة الفرعونية تتولى أمر أسرتها في غياب زوجها. وفي العصر الإغريقي Greek تذهب الدراسات التي تناولت البحث عن مكانة المرأة في ذاك العصر إلى أنها كانت مسلوبة الحرية والإرادة وحتى المكانة الاجتماعية، فلم يكن يسمح لها بمغادرة البيت، بل تقوم فيه بكل الأعمال من غسل وطبخ وتربية الأولاد وكنس ومسح، ولم تكن المرأة تخرج من دارها إلا بإذن زوجها، ولم يكن ذلك عادة إلا لسبب وجيه، وفي الحالات التي كان يسمح فيها للمرأة بالخروج كانت التقاليد تلزمها بوضع حجاب يخفي معالم وجهها. ويصف (ديكايرش) حجاب نساء طيبة إحدى المدن اليونانية، فلم يكن يرى سوى العينين». وكان بعض الأزواج لا يكتفي بما كانت تفرضه التقاليد على حرية المرأة؛ فكانوا يضعون أختامهم على أبواب دورهم عندما يتغيبون رغبة في زيادة الاطمئنان. كما حُرمت المرأة الإغريقية من حق التعليم والاطلاع على الثقافة العامة، وكانت الرياضة جزءًا من التعليم العام للرجل الذي يزرع بطريقة متوازنة ومنسجمة مع قدراته الفكرية والعقلية والجسدية، فهو الكائن الكامل في نظرهم. وفي عهد الإغريق أقيمت الألعاب الأولمبية القديمة لأول مرة عام 776 ق م، وما كان يسمح للنساء في ذلك الوقت بممارسة الرياضة والمشاركة بالألعاب الأولمبية؛ كما كان لا يسمح لهن أيضاً بمشاهدة الرجال أثناء المسابقات، وكان عقاب من تجرؤ على مخالفة تلك العادات هو الموت. وتنكرت في زي الرجال للدخول إلى قاعة المنافسة بالملاكمة لمشاهدته، وحينما تحقق حلمها، وفاز ابنها ببطولة الملاكمة لم تستطع أن تكتم صيحة فرح كادت توردها حتفها، فقد اكتشفت الجماهير أن من ادعى أنه مساعد للاعب الصبي الذي كان مسموحاً به في ذلك الوقت ليس إلا امرأة، وقد حملوها إلى حافة هاوية سحيقة لقذفها لتلقى جزاءها طبقاً للتقاليد المتبعة آنذاك، لكن العقلاء تداركوا الأمر، بعد أن تبيّن أنها ابنة بطل وزوجة بطل وأم بطل أولمبي. ومن تلك الحادثة نظم مهرجان خاص للألعاب الأولمبية بالنساء، وكان اليونانيون يعتقدون أن الآلهة تشك في قوة المرأة ومهارتها الجسمية، وقد اتفق هذا مع واقع الأمر في ذلك الوقت؛ لأن السيدات اللاتي كن يعرضن مهارتهن الرياضية في الألعاب كن في مستوى متواضع. وكانت المرأة الرومانية هي الأخرى بعيدة ومحرومة من الاشتراك في الأنشطة الرياضية، وبعد سقوط الإمبراطورية الرومانية حدثت بعض التغيرات في حقوق المرأة؛ ففي الأيام الأولى للكنيسة كان ينظر للمرأة التي تمارس الرياضة على أنها غير سوية وخارجة عن الكنيسة، وكان واجب المرأة الطاعة وتربية الأطفال، وهذا الرأي كان سائداً في العصور الوسطى، أيضا بعكس الرجل الذي خُلق للحروب والدفاع عن البلاد؛ لأن جسمه مخلوق لذلك. ففي عصر المسيحية الأولى اعتبروا التوراة (العهد القديم) جزءًا من فكرهم وعقيدتهم؛ وبذلك اعتبروا المرأة سبباً في إخراج آدم من الجنة من خلال إغوائها له؛ فهي سبب في انتشار الفواحش والمنكرات في المجتمع. كما كان محظوراً على المرأة في عصر المسيحية واليهودية التعلُّم أو حتى قراءة الكتب المقدسة.

lakhasly.com © تم تلخيص النص بواسطة موقع لخصلي